مهرجان "النّوَر" في براغ شهد أول مشاركة لبنانية

"الروما" شعب يرقص ويغني بينما يعيش البؤس والإذلال

يرتبط الفجر في الذاكرة الجماعية بالتسوّل وسرقة الأطفال وتسميم الآبار والتجسّس ويعانون الكثير من الإضطهاد وإسقاط التهم عليهم، هؤلاء الرحّالة يسببون الخوف للآخرين أينما حلّوا، ورغم أن هذا الخوف تمدن قليلا في زمننا الحاضر إلا أنّ صورة الغجري الهامشي والخبيث استبدلت بالتائه المختلف إثنيا. "مهرجان النّور" كما يطلق عليهم في لبنان والذي انعقد في براغ أتى ليذكّر بأن هؤلاء المهمّشين هم شعب لديه ثقافة وهويّة وتراث ويستحق المزيد من الرعاية.

الفلامنكو

موسيقى مزدوجة بحزن عميق

خبر

كيانيون

(الى الموارنة في مجمعهم العام)

التعريف المبسط، للموارنة في سلوكهم التمايزي، وتأسيس عقيدتهم، وبناء شخصيتهم الروحية والقومية، وتألقهم جماعة ذات هوية إنتمائية عنوانها "الحرية"، أنهم...
"سياديون"

سياديون في تاريخهم ونمط عيشهم،
سياديون في التزامهم الديني والوطني،
سياديون في طلوسهم ومسيرة قداسهم،
سياديون في تشظهم وقهر النفس،
سياديون في تردهم على الغير وعلى الذات،
سياديون في الحفاظ على قوميتهم وشرقيتهم،
سياديون بسريانيتهم وعربيتهم،
سياديون في أدبهم ولاهوتهم.

***

والتعريف التاريخي لهذه الجماعة المارونية، الضارب عمقها الى أربعة عشر قرناً،
من الوجود الشهادي في هذه الرقعة من الشرق، أنهم...
"نضاليون"

نضاليون في الحفاظ على وجودهم،
نضاليون سريان في سبيل مجتمع عربي أكثر تماسكاً وانفتاحاً،
نضاليون في سبيل الشهادة للمسيح،
نضاليون للعيش المشترك.
والتعريف الأسلم للموارنة، الذي توافقت فيه طبيعة أخلاقهم مع طبيعة لبنان
بجمالاتها ووعورتها وصخرية تربتها، أنهم...
"كيانيون"

كيانيون في كنيستهم وتراثها،
كيانيون في اكليروسهم وعلمانييهم،
كيانيون في ولائهم ومعارضتهم،
كيانيون... حتى مع القدر...!

***

ولأنهم سياديون، نضاليون، وكيانيون،
رجاؤنا لهم، وهم في سينودس عام
أن يكونوا مفصليين، في تحديد الخيارات وإزالة الالتباسات، وشرح اشغالاتهم ومواجسهم، وإشراك الغير بمخاوفهم...
لأن لا لبنان مع موارنة قلقين ومحبطين...
ولا رسالة للبنان من دون المسيحيين...
ولا لبنان من دون الموارنة... لأنهم...
"كيانيون"

والتحدي الأبرز، أمام السينودس اليوم، من خارج جدول الاعمال ان يعرف الموارنة مسؤولية كيانيتهم، ويتنبهوا الى ان الكيانات اللبنانية الشريكة مصير لبنان، ترنو اليهم نظرة رمانية فريدة، في هذه الفترة الدقيقة، مرخية عليهم عباءة الأصالة اللبنانية والعربية... فقط لأنهم...
كيانيون، يموتون في سبيل هويتهم... يبكون ليكاء شركائهم، ويفرحون لفرحهم... من أجل وحدة مصير، ووحدة قرار...
وما ذلك إلاّ لأنهم
"كيانيون"...

د. جورج كلاس

علم ١٩٧١ إنعقد أوّل تجمّع عالمي لفجر العالم واتّخذ قراراً بأن تكون كلمة "روما" Rom هي المعرّفة عن ابناء هذا الشعب فتختصر التسميات الأخرى الرائجة عالميا والمرتبطة أحيانا بمعان مستعتمرة ومذلّة على غرار "نور" في البلدان العربية، أو Tzigane، أو Gypsies أو Bohé-mien وسواها من الألقاب...

التظاهرة الثقافية لـ"روما" Festival KHAMO-RO World Roma التي جرت في العاصمة التشيكية براغ وشارك فيها زهاء ٣٥٠ غجريا من بلدان عدة يمثلون ٢٠ مليون غجري في العالم أجمع، شهدت هذا العام أول حضور "غجري" لبناني عربي تمثل بممثال الفترياداس. استمر المهرجان خمسة أيام من ٢٦ الى ٣٠ أيار وهو يقام للسنة الخامسة على التوالي وينظمه "التجمع العالمي للروما" ورئيسه المغامي إميل تشوكا وهو أهم تجمع رسمي لروما العالم مرخص من منظمة الأمم المتحدة ويعمل بإشراف الإتحاد الأوروبي الذي يقدّم له الدّعم المعنوي والمادّي على حدّ سواء.

تواجد إلفتريادس الموسيقي والفنان المعروف بغرابة أطواره في هذه التظاهرة الثقافية على أنه أحد أبناء هذا الشعب، وممثل للفجر الغرب البالغ عددهم التقديري زهاء مليون ونصف تنتشر أكثريتهم في العراق والأردن، لبنان وسوريا كان من إبداع عميق بعدالة قضية هذا الشعب. والفجر حسبما يوضح إلفتريادس نوعان، الأول ولد فجريا والثاني أن يكون جزءاً من هذا الشعب، وليس عليه في هذه الحالة سوى أن يحترم قوانين الفجر Romanipen ، ينتمي إلفتريادس الى الفئة الثانية، وهو يدافع عن قضية هؤلاء بشراسة حتى أنه ينفعل حين يرصد أي استخفاف أو نقد لقضية هذا الشعب "المظلوم" كما يصفه.

تشوكا

" إنه أكثر شعب أتقاسم معه نقاطا مشتركة ، لم أشعر يوما أنني أنتمي الى حضارة معينة، فانا لم أكن يوما لبنانيا ملة في الملة ولا يونانيا ملة في الملة كما أنني أكتب بالفرنسية ولا أعتقد انني مستعد للموت في سبيل وطن ما، ولا أجد صعوبة في التأقلم في بلدان أخرى، ثمّ إنني فوضوي لا أحب القوانين وأفضل عليها الألوان الزاهية...." كل هذه الصفات يعددها إلفتريادس ليؤكد انتماءه الى شعب "الروما" ولكن الموسيقى الفجرية هي التي تشدّه من الأعماق." أشعر أنها موسيقاي فيها حزن عميق لكنه قريب من الفرح وليس حزنا كليبا وبطيا ..."

شعب مسالم

يعتبر "الروما" أنفسهم أمّة يوحّدها العرق واللغة والأصل والعوائد، وهم لا يطالبون بارض أو بدولة بل بان تتوافر لهما إمكانيات التطور والعيش الكريم. ويروي إلفتريادس الذي بدأ يتعرّف الى هذا الشعب عن كثب منذ العام ١٩٩١ أنه شعب مسالم لم يخض حربا في تاريخه ورغم ذلك هو مضطهد ومظلوم جدا لا سيما في العالم العربي حيث لا يتمتع بأبسط حقوقه المدنية، حتى أنه لا يستدر الشفقة من الناس، " لأن ثمة أفكارا راسخة في الوعي الجماعي تعتبر أن "النوري" هو من اختار حياة البؤس وهو راض بها".أولاد الفجر لا يتعلمون في البلدان العربية لأنهم إذا ارتادوا المدارس يتعرضون الى مضايقات من رفاقهم وتجريح مؤد. لذا يطالب إلفتريادس بتأسيس مدارس صغيرة قرب الفهم يتعلّم فيها أبناء "الروما"، لا سيّما ان هؤلاء يشكلون جزءا من البانوراما اللبنانية منذ زهاء الف عام. رغم حصول عدد من "الروما" على الجنسية اللبنانية في مرسوم التجنيس الأخير فهم يعانون من اضطهاد ومن احتقار الآخرين ويعملون في أحقر المهن في المؤسسات التي يدخلون إليها.

ويطالب إلفتريادس بمعاملتهم الجيدة لا سيما في المؤسسة العسكرية حيث يطلب منهم العمل في اقل الأعمال شأنا. ويضيف ،" لا يعطى الفجر في البلاد العربية سوى أماكن ومساحات تحيط بمكبّات القمامة". مشاكل "الروما" في أوروبا ليست قليلة أيضا لكنها "طفيفة" قياسا الى البلاد العربية، فهم يعانون من عنصرية ضدهم لا سيما في بلدان أوروبا الشرقية خصوصا في سلوفاكيا حيث يلاقون أسوأ أنواع المعاملة، لكن في البلدان الأخرى لديهم مدارسهم الخاصة والمختلطة على حدّ سواء. علما أنّ مفاوضا وتشيكيا لم تقبلا في الإتحاد الأوروبي إلا بعد تأكيد حسن معاملتهما لهذا الشعب وتخصيصهما قسما من ميزانيتهما السنوية له.

رغبة في التطوّر

المؤتمر العام المقبل لـ"روما" سينعقد في العاصمة الروسية موسكو وسيشارك فيه إلفتريادس الذي سيرافقه أحد شيوخ الفجر اللبنانيين لعرض قضايا شعبه على المؤتمر، كذلك دعا إلفتريادس رئيس التجمّع العالمي لـ"روما" إميل تشوكا الى لبنان حيث سيقابل عددا من المسؤولين اللبنانيين، علما أنه يعيش في لبنان زهاء ٤٠ ألف غجري لكن ما من إحصاءات دقيقة كون معظمهم لا يصرّحون عن ولاداتهم، وليس لديهم جنسيات، ويعيشون في خيم مع اشخاص يشبهونهم أحيانا في الشكل كالتركمان والأكراد.

المنبع الرئيسي للفجر هو الهند، لكن لا تاريخ مكتوبا يروي لم اختار هذا الشعب الترحال الدائم، وبقي السبب الحقيقي لغزا رغم كثرة الأساطير في هذا الشأن. في "كتاب الملوك" يروي الشاعر الفارسي الفردوسي عام ١٠١٠ ميلادي، أن أحد الملوك الفرس المدعو بهرام غور طلب من جارة ملك الهند أن يرسل إليه ١٠ آلاف "لوريس" وهم رجال ونساء خبراء في عزف العود كي يزرعوا الفرح في نفوس الشعب. عند وصولهم إستقبلهم الملك وقدّم لهم مقابل الموسيقى التي سيمزقونها قمحا ليزرعوه، وبقرا وحميرا لفلاحة الأرض، لكنهم التهموا القمح والأبقار وطالبوا الملك ليطلبوا المزيد منها، استشاط الأخير غيظا وطردهم لأنهم فرّطوا بما أعطاهم إياه فلم يبق لهم سوى الصفير للتنقل ولم يعودوا الى الهند خوفا من غضب الملك بل انتقلوا من إيران الى العراق واستمروا في الترحال...

ترجّح الدراسات أن أولى مراحل الهجرة والترحال بدأت في الهند منذ زهاء ١٣٠٠ عام ومرّت في مراحل عدّة أما طريق الفجر التي سلكوها فهي الهند، باكستان، أفغانستان، إيران، العراق، سوريا، لبنان، تركيا ، اليونان، وإسبانيا...وكان هذا الشعب يتنقل بقوافل. الواقع أن "الروما" لم يتركوا أيّة كتابات توضح أصولهم وأسباب ترحالهم الدائم الذي يبقى لغزا تاريخيا تتوطه الأساطير. بعض الكتابات تعيد الفجر الى أصول مصرية وهذا ما أثبته العديد من الكتاب الإسبان في مؤلفاتهم، حتى أن الكاتب الكبير فولتير خصص لهم فصلا في كتابه Essais sur les moeurs حمل عنوان "يوميون أم مصريون". من هنا تكترب الكثير من التسميات التي تطلق عليهم من كلمة Egypte فيطلق عليهم في إنكلترا إسم Gypsies وفي إسبانيا Gitanos وفي مولدنا Egyptiers. يرد الباحثون هذه الروايات الى أنه عند وصول "الروما" الى أوروبا في بداية القرن الخامس عشر كانت المنطقة التي تشمل سوريا اليونان قبرص والمناطق المحيطة بها تعرف بإسم مصر.

في اختصار ومهما كانت أصوله يرتب هذا الشعب في الحفاظ على تقاليده وخصوصياته لكنه في الوقت عينه كما يشرح إلفتريادس يريد أن يتطور ويعاشي العصر لا سيما أن التنقل عبر حدود البلدان صار أصعب في ظل عدم وجود أوراق ثبوتية :"لا يعرف الفجر كيفية المطالبة بحقوقهم لأن معظمهم لا سيما في البلاد العربية غير متعلم، ويحمل لواء قضيتهم بعض المثقفين والمفكرين الأجانب المهتمين ، الى ذلك ليس من صوت مسموع للفجري، لأنه أمّي ومستضعف".

يضع إلفتريادس نصب عينيه اليوم إنشاء أوّل اتّحاد للفجر العرب يتمكّن من التنسيق مع التجمّعات الأوروبية ويطالب بحقوق الفجر العرب. كما أنّ تسليط الضوء على قضيّة هؤلاء يجعلهم يستفيدون من مساعدات دولية وهم سبق وحصلوا على تعويضات من قبل ألمانيا وفرنسا بسبب سوء معاملتهم الى مساعدات من الإتحاد الأوروبي.

مارلين خليفة
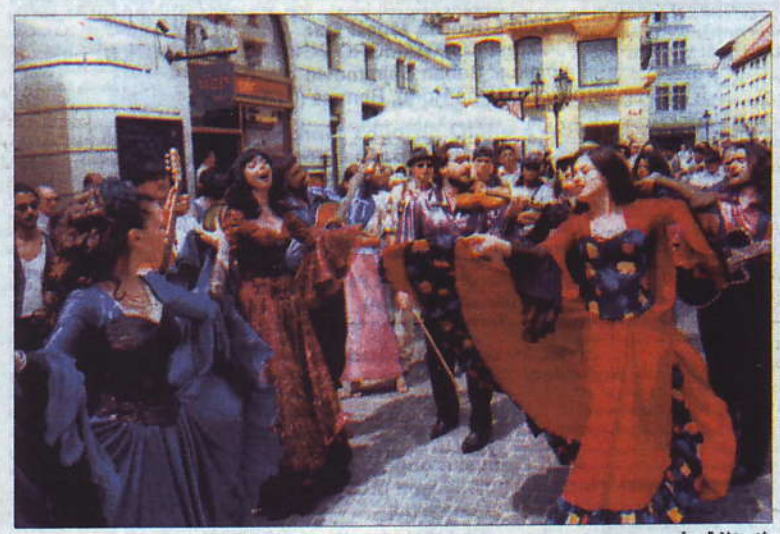
يحتقرونهم وينهبون تراثهم!!!

لا يعاني الفجر من الإضطهاد العرقي ومن الإستعمار السادق بهم فقط إنما يتعرضون أيضا لسرقة حضارتهم. وتتميز الموسيقى الفجرية بخصائص رائعة وبانغام إكزوتيكية مميزة ولديهم موسيقيون معروفون من أبرزهم عازف البزق مطر محمد. لكن المؤسف أنّ الكثير من أغنياتهم مسجّلة باسم" ملحنين لبنانيين وهي ألحان أخذت من التراث الموسيقي للفجر العرب، ولا أحد يطالب بحقوق المقوق كونهم مستضعفين ومستغلين. نهب التراث الموسيقي الفجري رائج أيضا في الخارج، والمغني غوردن بريفوفيتش الذي سمحيي هذه السنة حفلات في بيت الدين إستعمل موسيقى وأغنيات تقليدية غجرية من البلقان وسجّلها باسمه لكن رفعت عليه دعوى لا تزال أمام المحاكم.

"الدّوماري"

يتكلّم الفجر لغة موحّدة هي "الدوماري" وهي بحسب إلفتريادس الذي يتعلمها على يد غجر من العبدة (قرب عكار) ومن بانياس "لغة لا تشبه سواها تشكل مزيجا من عدّة لغات منها المينة مثل "السانسكريتي"، والفارسية، والتركية والأرمنية. واللافت أنّ الفجر يطوّرون لغتهم بالمفردات التي ليست موجودة في الدوماري عبر مفردات لغة البلد الذي يعيشون فيه، فالسيارة مثلا في لبنان هي السيارة وفي روسيا هي "ماشينا" حسب اللغة الروسية. وقد لاحق المؤرخون الطرق التي سلكها "الروما" في ترحالهم عبر رصد المفردات التي دخلت الى لغتهم. أحد الكتاب ويدعى John Sampson قام بدراسة فريدة في هذا المجال تناولت الجماعة الفجرية في بلاد الغال بيّنت أن زهاء ٥١٨ كلمة في لغتهم أصولها هندية، ١٥٠ كلمة إنكليزية، ٩٠ كلمة من أصول يونانية، ٦٠ كلمة أصولها سلافية و٤٠ كلمة من بلاد الغال، أما التعابير الأخرى فتأتي من بلدان أخرى مثل رومانيا، ألمانيا أو فرنسا. ويتقن الفجري عادة الى لغته الأم لغة البلد الذي يعيش فيه.